نفي النبي محمد (ﷺ) والمسلمين الأوائل

أ.م.د هاشم داخل حسين الدراجي/ جامعة ميسان / كلية التربية / قسم التاريخ

المقدمة

أشارت المصادر التاريخية والمراجع الثانوية إلى هجرة النبي (ﷺ) من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وركزت على أهمية هذا الحدث في تاريخ الدولة العربية الإسلامية . وبالرغم من ذلك فإنها لم تركز في هذا الجانب على موضوع إخراج النبي (ﷺ) قسرا من مكة إلى المدينة ، أو ما يصطلح على تسميته ب((عقوبة النفي)) وإنما اكتفت بالحديث عن الهجرة النبوية فقط ، إذ وردت إشارات بين طيات الكتب المختلفة تثبت إن النبي محمد (ﷺ) اخرج منفيا غير أن مصطلح الهجرة غلب على بقية المصطلحات التي تم ذكرها.

. وما ينطبق على النبي (ﷺ) ينطبق على أصحابه من المسلمين الأوائل الذين وصفوا بالمهاجرين ، لذلك جاء هذا البحث الموسوم **((نفي النبي (ﷺ) والمسلمين الأوائل))** ليسلط الضوء على هذا الجانب ، محاولين إثبات ذلك من خلال النصوص الواردة في القران الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والروايات التاريخية الواردة في كتب التاريخ والأدب واللغة.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر الأولية والمراجع الثانوية والتي أجملت جميعها في نهاية البحث .

لقد واجهت الدعوة الإسلامية في بداياتها مقاومة عنيفة من قريش ، إذ تعرض المسلمون الأوائل إلى شتى أنواع التعذيب الذي تعدى في بعض الأحيان إلى القتل من أجل ثني أولئك المسلمين عن اعتناق الإسلام ، ولم يسلم النبي محمد (ﷺ) من هذا الأسلوب فقد تعرض هو الآخر إلى مواجهة أخذت طابع الترهيب, والترغيب في أحيان أخرى لكونه يمثل قائد هذه الدعوة ، وبعد أن فشلت محاولات المشركين في حمل النبي (ﷺ) على التخلي عن الإسلام ، اجبر على الخروج من مكة . وقد اعتبر الشابندر[1] أن عملية إخراجه من مكة نفي مبطن أو نفي غير مباشر .كما أسماه . حيث قال : ((أن القامع قد لا يصارح المقموع بضرورة الخروج عن الوطن ، قد لا يأمر بإلقاء القبض عليه ورميه خارج الحدود ، بل قد يمارس ضغطاً نفسياً واقتصادياً على صاحب الفكر ، مما يضطره إلى حمل متاعه والنزوح عن الوطن علناً أو سراً ، وهو نفي مبطن ، نفي غير مباشر ... فهنا نحن أمام أحد تجارب النفي الفكري ، تجارب الإلغاء بسبب الفكر ليس إلا . وخرج محمد بن عبد الله (ﷺ) من موطنه العزيز مكة المكرمة ، خرج منها تحت ضاغط .كذا . التهديد بالقتل . على أن حرمان (الآخر) من فرصة التبشير بفكره وخطابه قد يؤول به إلى الخارج من الوطن. وهو بطبيعة الحال نفي ، هو نفي معنوي ،عنيف مبطن ، عفيف خفي دقيق ، قد لا يكشف عن حقد القامع بشكل مباشر ، بل قد يخير القامع (الآخر) بين الصمت وبين الخروج من الوطن...)).

غير أننا لا نتفق مع ما ذهب إليه الشابندر . في بعض الجوانب . من أن نفي النبي (ﷺ) كان نفياً غير مباشر ، بل هو نفي مباشر . ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال ما يأتي :

1. النصوص القرآنية :

لقد ورد في القرآن الكريم آيات تدل بوضوح على أن النبي (ﷺ) أخرج من مكة ، والإخراج عند اللغويين هو غير الخروج[2]، ومما يعزز ذلك ما ذكر من: ((أن أبا الأسود الدؤلي* قال : كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة ، فجئته فقلت له : ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعاً أم أُخرجت))[3]. ومن خلال ما تقدم يتضح أن الخروج يختلف عن الإخراج . فقد قال الله تعالى : ((إِلاّ

(1) الآخر في القرآن ، ص 54 .

(2) الطريحي ، مجمع البحرين ، ج1 ، ص631 .

* واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ، كان ثقة في حديثه ، وكان عبد الله بن عباس قد استخلفه على البصرة لما خرج منها ، فأقره الإمام علي (عليه السلام) عليها ، وكان ممن صحب الإمام علي (عليه السلام) ، ومن المتحققين بمحبة وصحبة ولده ، وهو أول من تكلم في النحو بالبصرة ، وقد أخذ العربية عن الإمام علي (عليه السلام) . ينظر : أبن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج7 ، ص99 ؛ أبن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص152 ؛ أبن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج25 ، ص188.189 .

(3) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج22 ، ص418 .

تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا)) [4]، وقوله تعالى : **((وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ))** [5]، وقوله تعالى : **((وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً))** [6]، والاستفزاز الإزعاج والتحريك بخفة وسهولة [7]، وقوله تعالى :**((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ))** [8]،وقوله تعالى: **((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))** [9]. ويلاحظ هنا كيف رتب الله سبحانه وتعالى ما تآمر به الملأ من قريش ، حيث أن الرأي الأول كان تقييده ، والرأي الثاني قتله ، والرأي الثالث هو إخراجه من مكة . وربما رتب الله سبحانه وتعالى هذه الآراء بحسب ما فكروا به ، وبالتالي فأن الرأي الأخير يكون الإخراج .

وكذلك قوله تعالى : **((أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))** [10]. ومعنى القول : هموا بإخراجه من مكة أي قصدوه . والهم مقاربة الفعل بالعزم من غير اتباع له، وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم ، وقد يستعمل الهم على مقاربة العزم [11].

2 . الأحاديث النبوية الشريفة :

لقد أكد النبي الكريم (ﷺ) ما جاء في نصوص القرآن الكريم من أن عملية خروجه من مكة كانت بفعل من قريش ، وقد اعتبر عملية الخروج من الوطن بأنها نوع من العقوبة حيث قال (ﷺ): ((الخروج عن الوطن عقوبة))[12] . ومن الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على ذلك ما خاطب به (ﷺ) قتلى بدر

(4) سورة التوبة ، الآية 40 .
(5) سورة محمد ، الآية 13 .
(6) سورة الإسراء ، الآية 76 .
(7) الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج13 ، ص173 .
(8) سورة الممتحنة ، الآية 1 .
(9) سورة الأنفال ، الآية 30
(10) سورة التوبة ، الآية 13 .
(11) الطوسي ، التبيان ، ج5 ، ص184 .
(12) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ،ص153.

حيث قال : ((يا أهل القليب* بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس ...))[13] .

ومنها قوله يخاطب مكة : ((وقد علمت أنك خير أرض الله ، وأحب الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت))[14] ، وقوله :((والله أنك لخير أرض الله وأحبه لي ولولا أني كنت أخرجت منك ما خرجت))[15] ، وقد روي الحديث بطرق أخرى مختلفة قليلا ، منها : ((أنت أحب بلاد الله إلي ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج عنك))[16] ، ومنها أيضاً: ((أما والله أنك لأحب البلاد إلى الله سبحانه ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت))[17] ، ومنها : ((أني لأعلم أنك خير أرض الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)) [18]، وزاد غيرهم في الحديث حيث قال : ((والله أني لا أعلم أنك أحب بلد الله إلي وأنك أحب أرض الله إلى الله عز وجل ، وأنك خير بقعة على وجه الأرض وأحبها إلى الله تعالى ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت))[19] .

وعندما فتح المسلمون مكة في سنة 8هـ وقف الرسول (ﷺ) مخاطباً أهلها : ((ألا بئس جيران النبي كنتم ، لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم ، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني ، فاذهبوا فأنتم الطلقاء ...))[20] .

وعندما رأى أبو سفيان وجوهاً كثيرة لا يعرفها قال : ((يا رسول الله أكثرت إذا أو اخترت هذه الوجوه على قومك . قال رسول الله (ﷺ) : أنت فعلت هذا وقومك أن هؤلاء صدقوني إذ كذبتموني ونصروني إذ أخرجتموني)) [21].

* القليب : اسم من أسماء الركي ، ذات ماء أو غير ذات ماء ، وقيل القليب اسم من أسماء البئر، وسميت قليباً لأنه قلب ترابها . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص386 .

(13) أبن هشام ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص469 ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، ج2 ، ص37 ؛ أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج4 ، ص202 ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج 3 ، ص292 .

(14) الصنعاني ، المصنف ، ج5 ، ص27 ؛ أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ،ج4 ، ص305 .

(15) أبن سعد،الطبقات،ج2،ص137 ؛ الشيباني،الآحاد والمثاني،ج1،ص448؛ البكري ، معجم ما استعجم،ج1، ص444 ؛ أبن كثير،البداية والنهاية ،ج 3، ص205 ؛ الفاسي،الزهور المقتطفة ، ص53 .

(16) السيوطي ، لباب المنقول في أسباب النزول ، ص176 .

(17) الأزرقي ، أخبار مكة ، ج2 ، ص295 .

(18) الفاكهي ، أخبار مكة ، ج2 ، ص290 .

(19) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، فضائل مكة والسكن فيها ، ص18.

(20) ابن شهر أشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج1 ، ص180 .

(21) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج8 ، ص9 ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج 4 ، ص291 ؛ نور الدين الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج6 ، ص172 .

وفي حديثه (ﷺ) مع نعيم بن عبد الله بن أسيد* حين قدم عليه قال : ((قومك يا نعيم خير من قومي لي ، فقال نعيم : بل قومك خير يا رسول الله ، قال رسول الله : أن قومي أخرجوني وأقرك قومك))[22] .

وقد ذكر اليعقوبي[23] أن رسول الله (ﷺ) قال في حجة الوداع : ((أنكم مسؤولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب ولم ينزل مكة ، وقيل في ذلك فلو نزلت يا رسول الله بعض منازلك فقال ما كنت لأنزل بلداً أخرجت منه)) .

3 . الروايات الواردة في كتب التاريخ واللغة والحديث :

أشارت الروايات الواردة في كتب التاريخ واللغة والحديث إلى كثير من الألفاظ التي أوضحت أن الرسول (ﷺ) كان قد أخرج من مكة من قبل مشركي قريش ، فقد أشارت الكتب التاريخية إلى أن الملأ من قريش كانوا قد اجتمعوا في دار الندوة للنظر في شأن النبي (ﷺ) ، وقد طرحوا عدة آراء في كيفية الخلاص منه ، فقد قال بعضهم بحبسه ، وقال بعضهم بنفيه ، وقال البعض الآخر بقتله[24] . ويتبين من هذا أن نية النفي كانت موجودة عند مشركي قريش . وتشير إحدى الروايات إلى أن النبي (ﷺ) كان قد أخرج من قبل مشركي قريش ، فقد جاء فيها أنه عندما بات علي بن أبي طالب (عليه السلام) في فراش الرسول (ﷺ) لرد الودائع التي كانت عنده وصار إلى الغار فكمن فيه أتت قريش فراشه فوجدوا علياً (عليه السلام) فقالوا : ((أين ابن عمك ؟ قال : قلتم له أخرج عنا فخرج عنكم)) [25]. ويتضح من خلال ما جاء على لسان علي (عليه السلام) أن مشركي قريش هم الذين طلبوا من النبي الخروج من مكة . غير أنهم ربما ندموا على ذلك خوفاً من أن تنتشر دعوته بين أوساط أخرى فيقوى عليهم ، لذلك قرروا قتله ، بعد أن كانوا أمروه بالخروج .

* هو نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد عوف القرشي العدوي ، من المسلمين الأوائل ، ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة ، لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم ، ثم هاجر إلى المدينة في السنة السادسة للهجرة . ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج5 ، ص33.32 .

(22) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج2 ، ص857 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج62 ، ص178 .

(23) تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص112.111 .

(24) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج1 ، ص567.566 ؛ أبن الجوزي ، المنتظم ، ج3 ، ص46.45 ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج3 ، ص176.175 .

(25) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص39 .

ولما كان يوم بدر أخذ رسول الله (ﷺ) الأسرى واستشار الصحابة فيهم ، فقال عمر بن الخطاب : ((يا رسول الله كذبوك وأخرجوك أضرب أعناقهم ...))[26] . كما جاء على لسان سعد بن معاذ* يوم الخندق قوله : ((لا قوم أحب إليّ أن جاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ...))[27] .

وعندما دعا الرسول (ﷺ) ذا الجوشن الضبابي* إلى الإسلام ، رفض ذلك ، وأكد لرسول الله (ﷺ) أن سبب رفضه هو أن قومه كذبوه وأخرجوه وقاتلوه[28] . فكيف يؤمن به هو ؟ . ولما أوضح ثابت بن عبد الله *بن الزبير لعبد الملك بن مروان سبب شتم أبيه له قال : ((أني كنت نهيته أن يقاتل بأهل مكة ، وأهل المدينة فأنه لا ينصر بهما ، أما أهل مكة فأخرجوا رسول الله ... وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قتل بينهم)) [29]. وجاء على لسان ابن عباس قوله : ((لما أخرج النبي (ﷺ) من مكة قال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون أخرجوا نبيهم ليهلكن))[30] .

وقد وردت في كتب اللغة والحديث أيضاً روايات أخرى تدل على إخراج قريش للنبي (ﷺ) ، فقد جاء على لسان أبي جهل . عمرو بن هشام . قوله : ((أن محمداً نزل يثرب وأنه حنق عليكم نفيتموه نفي القراد عن المسامع)). يعني عن الآذان أي أخرجتموه من مكة إخراج استئصال[31] .

وقد أورد أبن الأثير[32] على لسان عبد الله بن أُبي قوله : ((يذهب محمد إلى من أخرجه من بلاده)) . وعندما عرض الرسول (ﷺ) دعوته على أحياء العرب قال بعضهم : ((بئس ما صنعتم عمدتم إلى

(26) ابن سلام ، الأموال ، ص167 ؛ أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، ج4 ، ص208 ؛ أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ج1 ، ص314 .

* هو سعد بن معاذ بن النعمان بن أمريء القيس بن زيد الأنصاري الأوسي ، أبو عمرو ، أسلم على يد مصعب بن عمير لما أرسله النبي (ﷺ) إلى المدينة يعلم المسلمين ، شهد بدراً وأحداً والخندق . ينظر : أبن الأثير ، أسد الغابة ، ج3 ، ص296 .

(27) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج2 ، ص95 ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج1 ، ص281.282 .

* هو شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية ، وقيل هو جوشن بن ربيعة الكلابي . وهو أبو شمر بن ذي الجوشن الذي شهد قتل الحسين (عليه السلام) ، قدم على رسول الله (ﷺ) مشركاً وأهدى له فرساً فأبى أن يأخذه . ينظر :ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج 6، ص46-48 .

(28) أبن سعد ، الطبقات ، ج6 ، ص46.48 ؛ أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج4 ، ص68 .

* هو ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، من تابعي أهل المدينة ، وكان أفصح آل الزبير لساناً ، توفي في طريق الشام إثناء عودته إلى المدينة من الخليفة سليمان بن عبد الملك . ينظر : أبن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج11 ، ص126.132 .

(29)الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص151.152 ؛ أبن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج3 ، ص218 .

(30) الطبراني ، الأوائل ، ص58 ؛ الترمذي ، الجامع الصحيح ، ج5 ، ص7 .

(31) أبن منظور ، لسان العرب ، ج8 ، ص163 ؛ أبن الأثير ، النهاية في غريب الأثر ، ج2 ، ص402 .

دحيق قوم فأجرتموه)) ، أي طريدهم والدحق هو الطرد والإبعاد[33] . كما جاء على لسان معاوية بن أبي سفيان قوله: ((أنكم أن قتلتموني لم تعد الخلافة فيكم أبداً ،فأن أهل مكة أخرجوا النبي فلم تكن الخلافة فيهم أبداً ، وأن أهل المدينة قتلوا عثمان فلم تكن الخلافة فيهم أبداً))[34].

ومن خلال كل ما تقدم واستناداً إلى نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والروايات الواردة بين طيات الكتب ، يمكن القول أن مشركي قريش هم الذين طلبوا من الرسول (ﷺ) الخروج من مكة ، إلا أنهم ربما ندموا على ذلك القرار في اللحظات الأخيرة التي لم تسعفهم لقتله ، خوفاً من نشر دعوته في أماكن أخرى فيقوى عليهم . وهو ما حصل بالفعل . فكان طلبهم هذا فيه خير للنبي (ﷺ) وللمسلمين ومستقبل الإسلام فقد قال الله تعالى : ((**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**))[35] .

وما ينطبق على رسول الله (ﷺ) ينطبق على أصحابه من المسلمين الأوائل ، فقد تعرضوا هم الآخرون إلى شتى أنواع التعذيب والتشريد والإخراج القسري ، فقد جاء في القرآن الكريم العديد من النصوص التي يتضح من خلالها أن المسلمين الأوائل كانوا قد تعرضوا إلى الإخراج القسري على يد المشركين . وهذا ما أكدته أيضاً كتب التفسير . فقد قال الله تعالى : ((**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**))[36] ، وقد نزلت هذه الآية في المسلمين الذين أخرجهم أهل مكة من أوطانهم ، فلما قووا أمرهم الله بالجهاد ، وبين أنه أذن لهم في قتال من ظلمهم وأخرجهم من أوطانهم[37] .

ومن النصوص الأخرى قوله تعالى : ((**الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**))[38]، وتشير هذه الآية الكريمة إلى المهاجرين الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة[39] . وقوله تعالى : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ...**))[40]، حيث أن

(32) النهاية في غريب الأثر ، ج4 ، ص152 .
(33) المصدر نفسه ، ج2 ، ص105 .
(34) الشيباني ، الآحاد والمثاني ، ج1 ، ص376 .
(35) سورة البقرة ، الآية 216 .
(36) سورة الحج ، الآية 40 .
(37) الطوسي ، التبيان ، ج7 ، ص320 .
(38) سورة آل عمران ، الآية 195 .
(39) الطبري ، جامع البيان ، ج4 ، ص285 .
(40) سورة الممتحنة ، الآية 1 .

المشركين كانوا قد أخرجوا النبي (ﷺ) والمؤمنين من ديارهم بالتهديد[41] . ويلاحظ من هذا النص القرآني أن الله سبحانه وتعالى جمع عملية إخراج النبي وأصحابه معاً على يد المشركين ، ومن خلال تفسير النصوص القرآنية الواردة سلفاً والتي ستأتي تؤكد أن المهاجرين أخرجوا من ديارهم على يد مشركي قريش ، فأن هذا يعزز ما ذكر من أن النبي (ﷺ) كان قد أخرج على يد مشركي قريش أيضاً ، فقد عطفت هنا كلمة (إياكم) التي يقصد بها والمسلمين على كلمة (الرسول) فشمل الإخراج الطرفين أي الرسول والمسلمون .

وكذلك قوله تعالى : ((**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)) [42]. وقوله تعالى : ((**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**)) [43]. وهنا يشير النص القرآني إلى أن من أخرجهم هم عتاة أهل مكة ، والذين ظاهروا أي عاونوا على إخراجهم هم مشركوا أهل مكة[44].

وقوله تعالى:((**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**)) [45]. ويعني هنا بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ومنازلهم بمكة ، فقال لهم تعالى : أخرجوا هؤلاء الذين يقاتلونكم وقد أخرجوكم من دياركم وديارهم كما أخرجوكم منها [46] .

وقد أشارت بعض الروايات التاريخية إلى أصحاب رسول الله (ﷺ) الذين تم نفيهم ، فقد ذكر أن أبا بكر الصديق(رضي الله عنه) كان قد أخرجه قومه ووصل إلى مكان يدعى برك الغماد* فرده ابن الدغنة* إلى مكة

(41) الشابندر ، الآخر في القرآن ، ص124 .

(42) سورة الحشر ، الآية 8 .

(43) سورة الممتحنة ، الآية 9 .

(44) الطبرسي ، مجمع البيان ، ج9 ، ص450 ؛ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج18 ، ص60 ؛ الشوكاني ، فتح القدير ، ج5 ، ص213 .

(45) سورة البقرة ، الآية 191 .

(46) الطبري ، جامع البيان ، ج2 ، ص261 .

* هو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل بلد اليمن ، وقيل هو موضع في أقاصي أرض هجر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص399 .

* وهو ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة السلمي ، كان يقال له ابن الدغنة ، وهي أمه فغلبت عليه ، قدم على رسول الله (ﷺ) في وفد بني تميم ، وهو قاتل دريد بن الصمة يوم حنين . ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج2 ، ص167 .

وشفع فيه عند مشركي قريش ، فأعطوه الأمان على أن يتعبد في داره ، وليصل مهما شاء وأن يقرأ ما شاء ، وأن لا يفعل ذلك في غير داره[47].

وكان بلال الحبشي يردد أبياتاً من الشعر يعبر فيهما عن حنينه إلى مكة وشعابها ، حيث كان يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفخ وحولي أذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

ثم يقول : ((اللهم ألعن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى الوباء))[48].

أن الأسباب الدينية واضحة في إخراج النبي (ﷺ) وأصحابه من المسلمين الأوائل ، والتي تتضح من النصوص القرآنية التي أشارت إلى ذلك ، كما أن عملية إخراج الصحابة من مكة ربما كان يقصد منها محاولة إضعاف النبي (ﷺ) ، وذلك عن طريق تقليل عدد أصحابه المجتمعين حوله والمدافعين عنه بنفيهم عن مكة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى من أجل أن لا يبشر هؤلاء بالدين الجديد ، وبالتالي يمكن القضاء على النبي (ﷺ) منفرداً حسب اعتقادهم عن طريق إبعاد أصحابه من مكة ، وهذا ما حدث بالفعل ، كما أن عملية إخراج المسلمين الأوائل في نفس الوقت هي ربما كانت بمثابة رسالة للآخرين الذين بدأوا يفكرون بالإيمان بالرسول محمد (ﷺ) ورسالته ، وأن مصيرهم سيكون نفس مصير الآخرين في حالة الإيمان بالدين الجديد ، والدليل على أنهم كانوا يخشون من أن الصحابة قد يجذبون أشخاصاً آخرين إلى الدين الإسلامي قول المشركين لأبن الدغنة : ((مرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره مهما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا ، ولا يشتغلن بالصلاة والقراءة في غير داره)) [49].

وكان الرسول (ﷺ) قد عاقب بالنفي والإخراج من لم يسلم من المشركين من مكة بعد فتحها سنة 8 هـ [50] ،مستنداً إلى قوله تعالى : ((**وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ**)) [51]، وهذا يعني أن مشركي العرب كان لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف [52].

(47) الطبري ، الرياض النضرة ، ج1 ، ص439.438 .

(48) أبن المبارك ، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، ج1 ، ص121.120 ؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ج1 ، ص145.144 ؛ أبن كثير ، البداية والنهاية ، ج 3 ، ص222.221 .

(49) الطبري ، الرياض النضرة ، ج1 ، ص439.438 .

(50)الراوندي ، فقه القرآن ، ج1 ، ص337 ؛ الطبرسي ، تفسير جامع الجوامع ، ج1 ، ص189 ؛ الشوكاني ، فتح القدير ، ج1 ، ص191.190 .

يتضح مما تقدم أن عملية خروج الرسول (ﷺ) من مكة كانت عقوبة نفي ، وقد تم إثبات ذلك من خلال أدلة متعددة معتمدين فيها على نصوص القران الكريم والسنة النبوية وكتب التاريخ والأدب والحديث واللغة . وما ينطبق على الرسول(ﷺ) ينطبق على بعض أصحابه الذين اخرجوا من ديارهم من قبل المتسلطين في مكة ، لا لأجل شيء إلا أن يقولوا ربنا الله

وقد ترتب على إخراج الرسول (ﷺ) من مكة من قبل مشركي قريش أثر ايجابي بعيد في حركة سير الدعوة الإسلامية أنصب في خدمة الدين الإسلامي الفتي ، ، فقد أنشأ الرسول (ﷺ) بعد وصوله إلى المدينة ماسمي بدولة المدينة ، والتي وضع أسسها بعد وصوله فوراً ، حيث وضع دستورها الجديد ، وحدد علاقاتها في الداخل ومع الخارج ، وأستطاع أن يتحرك دون قيود وبشكل أفضل مما كان عليه في مكة ،فأصبحت المدينة قاعدة لانطلاق الدين الإسلامي إلى إنحاء متفرقة من العالم .[53] ويذكر أبن كثير[54] إن الرسول (ﷺ) بعد إخراجه من مكة كان قد حصل على الأنصار والإتباع الذين أصبحوا جنداً يقاتلون في سبيل الإسلام ، والذين أخذوا يزدادون يوماً بعد يوم .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر الأولية

1- القرآن الكريم

***ابن الأثير،أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت 630هـ/1232م)**

2- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، نشر اسماعيليان ، طهران ، د.ت .

***ابن الأثير،أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري(ت606 هـ/1209م)**

3 -النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ،بيروت ،1399هـ .

* **الازرقي ، أبو الوليد محمد بن عبدالله (ت 250 هـ/864م)**

4- أخبار مكة وما جاء فيها من آثار ، تحقيق رشدي صالح ملحس ، ط3 ، دار الأندلس ، بيروت ، 1983م .

* **الاصبهاني ، أبو نعيم احمد بن عبدالله ، (ت430هـ/1038م)**

5- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط ، دار الكتاب العربي، بيروت،1405 هـ

(51) سورة البقرة ، الآية 191 .

(52) الجصاص ، أحكام القرآن ، ج1 ، 316 .

(53) الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية ،ص189 وما بعدها .

(54) تفسير أبن كثير ، ج2، ص544 .

* **البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز (ت487هـ/1094م)**

6- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ط4 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1403هـ .

* **الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)**

7- المحاسن والاضداد ، منشورات الشريف الرضي ،ايران ،1413هـ.

* **الجصاص ، أبو بكر احمد بن علي (ت370هـ/980م)**

8- أحكام القران ،ضبط نصه وخرج آياته عبد السلام محمد علي شاهين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1994م.

* **ابن الجوزي،أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م)**

9- صفوة الصفوة ،تحقيق محمد فاخوري والدكتور محمد روا قلعجي ، دار المعرفة ،بيروت، 1979م.

10- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطار ،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت، 1992.

* **ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي (ت354هـ/965م)**

11- مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق م. فلايشهمر ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، 1959م.

* **الحسن البصري ،أبو سعيد بن يسار (ت110هـ/728م)**

12- فضائل مكة والسكن فيها ،تحقيق سامي مكي العاني ، نشر مكتبة الفلاح،الكويت،1400هـ.

* **ابن حنبل ، أبو عبد الله احمد الشيباني (ت241هـ/855م)**

13- مسند الإمام احمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

* **الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)**

14- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارناووط ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط9 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1413هـ .

* **الراوندي ، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت573هـ/1177م)**

15- فقه القرآن ، تحقيق احمد الحسيني ، مطبعة الولاية ، قم ، 1405هـ .

* **الزبير بن بكار (ت256هـ/869م)**

16- الأخبار الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني ، ط1 ، منشورات الشريف الرضي ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، د.ت.

17- جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط5 ، الرياض ، 1999م.

* **ابن سعد ، محمد بن منيع البصري (ت230هـ/844م)**

18- الطبقات الكبرى ، تحقيق زياد محمد منصور ،ط2 ،دار صادر ،بيروت ،د.ت.

* **ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ/838م)**

19- الأموال ، تحقيق خليل محمد هراس ،نشر مكتبة الكليات الأزهرية ،مصر ،1968م.

* **السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)**

20- لباب النقول في أسباب النزول ، ضبطه وصححه احمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.

* **ابن شهر اشوب ، أبو عبد الله محمد بن علي ، (ت588هـ/1192م)**

21- مناقب آل أبي طالب ، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الاشرف ، النجف ، 1956م.

* **الشيباني ، أبو بكر احمد بن عمرو الضحاك (ت287هـ/900م)**

22- الآحاد والمثاني ، تحقيق الدكتور باسم فيصل احمد الجوابرة ، دار الراية ، الرياض ، 1991م.

*** الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت 211 هـ/826م)**

23- مصنف عبد الرزاق ، تحقيق حبيب عبد الرحمن الاعظمي ، نشر المجلس العلمي ، لا.م ، د.ت.

*** الطبراني ، سليمان بن احمد (ت 360 هـ/970م)**

24- الأوائل ، تحقيق محمد شكور محمود ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان ، بيروت ، 1403هـ..

25- المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، د.ت.

*** الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت 560 هـ/1164م)**

26- تفسير جامع الجوامع تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم، 1418 هـ .

27- مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق لجنة من العلماء ، ط1 ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 1415هـ .

*** الطبري ، أبو جعفر احمد بن عبد الله بن محمد (ت694هـ/1294م)**

28- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، تحقيق عيسى عبد الله محمد مانع الحميري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996م.

*** الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)**

29- تاريخ الأمم والملوك ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407هـ.

30- جامع البيان عن تأويل آي القران ، تحقيق صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.

*** الطريحي ، فخر الدين (ت1085هـ/1674م)**

31- مجمع البحرين ، المكتبة المرتضوية ، طهران ، د.ت.

*** الطوسي ، محمد بن الحسن (ت460هـ/1067م)**

32- التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق وتصحيح احمد حبيب قصير العاملي ، ط1 ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ،لا.م ، 1409هـ .

*** ابن عبد ربه الأندلسي ، شهاب الدين احمد (ت328هـ/939م)**

33- العقد الفريد ، تقديم الأستاذ خليل شرف الدين ، منشورات دار الهلال ، بيروت ، 1986م.

*** ابن عساكر،أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله (ت571هـ/1175م** 34- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، 1995م.

***الفاسي،تقي الدين أبو الطيب محمد بن احمد بن علي القرشي الهاشمي الحسيني(ت832هـ/1428م)**

35- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تحقيق أديب محمد الغراوي ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 2000م.

*** الفاكهي ، أبو عبدالله محمد بن اسحاق بن العباس (ت275هـ/888م)**

36- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق الدكتور عبد الملك عبد الله دهيش ،ط 2، دار خضر ، بيروت ، 1414هـ .

*** أبو الفرج الأصفهاني (ت356هـ /965م)**

37- الأغاني ، تحقيق سمير جابر ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

*** القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت672هـ/1273م)**

38- الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1985م.

*** ابن كثير ،أبو الفدا إسماعيل بن عمر(ت774هـ/1372م)**

39-البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ،بيروت،د.ت.
40- تفسير القران العظيم ،تقديم الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي ،دار المعرفة،بيروت،د.ت.
* **ابن المبارك ،أبو العباس زين الدين احمد بن عبد اللطيف**
41- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، دار الإرشاد ،بيروت،
* **المجلسي ،محمد باقر (ت1111هـ/1699م)**
42- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، نشر مؤسسة الوفاء ،بيروت،1983م.
* **ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م)**
43- لسان العرب ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.
* **ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (213هـ/828م)**
44- السيرة النبوية ، تحقيق الأستاذ سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1992م.
* **الهيثمي ، نور الدين علي (ت807هـ/1404م)**
45- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م.
* **ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)**
46- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.
* **اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت292هـ/904م)**
47- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

ثانيا : المراجع العربية والمعربة

* **الشابندر ، غالب حسن**
48- الآخر في القرآن ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، 2005م.
* **الطباطبائي ، محمد حسين**
49- الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، د.ت.* الملاح ، هاشم يحيى
50- الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، الموصل ، 1991م.